المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 16-10-2005 العـــدد : 9819
الصفحـات : 15 المسلسل : 84

السعودية في موقع القيادة بدون رغبة منها

بلال الحسن

احتلت تصريحات سعود الفيصل وزير خارجية السعودية واجهة الأحداث طوال الأسبوعين الماضيين، فما هو السبب في ذلك؟ هل يعود السبب إلى حديثه عن وحدة العراق وعروبته؟ أم يعود إلى إعلان تخوفه الحاد من الطائفية التي أصبحت عنوان التحرك السياسي بداخله؟ أم أن سبب الضجة هو ذكره لإيران بالاسم والحديث عن تدخلات مباشرة لها في مناطق العراق الجنوبية؟

إن موضوع العراق موضوع حساس دون شك، وإقدام وزير عربي على الحديث عنه بصراحة، من شأنه أن يثير الاهتمام، ولكن درجة الاهتمام هذه المرة كانت أعلى وأحد، بحيث يستدعي الأمر أن نطرح السؤال وأن نبحث عن السبب.

وهناك في رأيي أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة. أما الأسباب المباشرة فربما يكون منبعها أن المتحدث هو وزير خارجية السعودية، الدولة العربية الأكثر تعاونا مع الولايات المتحدة الأميركية، وأي حديث يصدر عنها بالتالي، وينتقد حصيلة عمل الولايات المتحدة الأميركية في العراق، من شأنه أن يلفت النظر، وأن يشير للمسؤول الأميركي بأن الضيق قد بلغ ذروته، وأن اتجاهات سيره في العراق ليست من النوع الذي يمكن السكوت عنه. ومن الأسباب المباشرة أيضا، والتي ساعدت في توسيع نطاق الضجة حول تصريحات سعود الفيصل، أنه أعلن عنها لأول مرة، وبهذه الطريقة المحددة والصريحة، من داخل الولايات المتحدة نفسها.

كان ذلك بعد محاضرة ألقاها في معهد جيمس بيكر للسياسة العامة في جامعة رايس في هيوستن (2005/9/23)، وحين يكون منبر الإعلان أميركيا فإن مداه يكون في العادة أشد وأبعد. واللافت للنظر هنا أن المحاضرة كانت مخصصة للحديث عن النفط سعوديا وعالميا، أما موضوع العراق فقد ورد في سياق الحوار بعد المحاضرة، حيث وجه له أحد الحضور سؤالا عن «الانقسام الطائفي الذي بدأ يظهر في العراق بين السنة والشيعة، وهل يثير قلقكم؟».....

وكان رد سعود الفيصل الذي أثار ضجة لم تهدأ بعد.

المصـــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 16-10-2005   العـــدد : 9819
الصفحـات : 15   المسلسل : 84

حديث سابق لسعود الفيصل عن المشاركة السياسية والنقد الذاتي ونبذ الطائفية

كشف عن رؤيته الاستراتيجية المبكرة وتعامله مع العراق ليس مفصولا عن تلك الرؤية

وبعد أسئلة المحاضرة وأجوبتها في قاعة مغلقة، ثارت شهية الصحافة، ولاحقت سعود الفيصل الذي تحدث إليها عن الموضوع نفسه بدقة أكبر ساهمت في توسيع نطاق الاهتمام، وكشفت أن الأمر لم يكن مجرد تعليق فوري على سؤال مفاجئ، إنما كان موضوعا مختمرا في ذهن وزير الخارجية، وكأنه ينتظر فقط اللحظة المناسبة للإعلان عنه. ولعل السبب المباشر الثالث يرتبط بالوضع السياسي الساخن داخل العراق، والذي يتصارع (ولا أقول يتحاور) حول قضايا: وحدة العراق، والطائفية، وعروبة العراق، فجاءت تصريحات سعود الفيصل لتتفاعل مع جو سياسي حار جدا، ينشغل به المؤيدون لنظام الحكم القائم، كما ينشغل بـه المعارضون، داخل العراق وخارجه.

ولكن هناك أسبابا غير مباشرة لا تقل أهمية في رأيي عن الأسباب المباشرة. يقف في مقدمتها أن السعودية أصبحت دولة قائدة في المنطقة العربية، وأغامر وأقول أنها بدأت تحتل الدور الذي كان لمصر في سنوات سابقة، وليس أدل على ذلك من أنها أعلنت موقفها من العراق أولا، ثم كانت زيارة الرئيس المصري حسني مبارك إلى جدة، ليلتقي مع الملك عبد الله، ويبحث معه في مبادرة عربية تجاه العراق وفلسطين، بينما كانت الأدوار معكوسة في السابق. ويلفت النظر هنا أن السعودية أصبحت دولة قائدة من دون أن ترغب في هذا الموقع أو أن تسعى إليه. وقد أهلها لذلك وزنها الخاص في الاقتصاد العالمي وفي موضوع النفط بالذات. كما أهلها لذلك إنجاز بناء تجربتها الداخلية على صعيد البنية التحتية، والتنمية، والتعليم، والصحة، بنجاح ملحوظ يكاد يتميز على تجارب عربية عديدة ومؤهلة، ولكن أوضاعها لم تسعفها على متانة الإنجاز (مصر ـ الجزائر ـ العراق).

يضاف إلى هذا امتلاك السعودية رؤية سياسية واضحة، مشفوعة بإرادة سياسية واقعية، ولكنها فعالة، وبدأت تبرز بوضوح منذ أن تابع الملك عبد الله شؤون تصريف السياسة وهو لا يزال وليا للعهد، فقام باتخاذ خطوات عديدة ذات بعد مستقبلي، ربما كان أبرزها:

* التقارب مع ايران، وخلق أجواء حسن جوار معها، بينما كانت الولايات المتحدة تتبنى سياسة «الاحتواء المزدوج» ضد ايران والعراق.
* عدم تجديد اتفاقية المقر مع القيادة العسكرية الأميركية بعد أن انتهى أجلها، وكان ذلك في لحظة الاستعداد الأميركي للهجوم على العراق، الأمر الذي اضطرها إلى القيام بعملية نقل سريعة لمقر القيادة إلى قطر.
* المبادرة في قمة بيروت العربية إلى طرح مشروع للتسوية العربية مع إسرائيل، جاء بعد فشل قمة كامب ديفيد الثانية بين ياسر عرفات وايهود باراك، وحتى لا تبقى الساحة السياسية مسدودة الأفق.
* التحرك سعوديا وعربيا، للتعامل مع موضوع العراق، بعد أن ثبت فشل السياسات الممارسة فيه، أو المفروضة عليه، والإعلان عن الحاجة إلى سياسات جديدة تتم بغطاء عربي.

لقد كان من شأن هذه المواقف أن تضع السعودية في صلب العملية السياسية العربية والإقليمية، وأن تدفع بها نحو موقع القيادة الذي تجنبته طويلا وهي تعتقد أنها ليست مؤهلة له بعد. وهنا لا يمكن الحديث عن سياسة سعودية فاعلة أو قيادية، من دون أن يشمل الحديث رجلا من نوع سعود الفيصل، باعتباره وزير الخارجية، وباعتباره مسير حركة الدبلوماسية السعودية. وما من شك في أن كثيرا من القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية إنما تتم بالتفاعل والتعاون بينه وبين صاحب الأمر حين كان وليا للعهد ممارسا بالنيابة عن أخيه الملك فهد، أو حين أصبح هو الملك بعد وفاته.

والإشارة هنا إلى سعود الفيصل ليست من باب المجاملة، فإضافة إلى شخصية الرجل وعلمه وتجربته المديدة في السياسة الخارجية، فقد كانت له في السنوات الأخيرة إطلالات متميزة، تشير إلى تبلور في فكره السياسي تجاه ما يجري داخل بلده، وتجاه ما يجري في العالم. ومن هذه الإطلالات المتميزة دعوته في سياق الحديث عن التطوير والتغيير إلى ضرورة العناية بالمشاركة السياسية، أي مشاركة القوى الاجتماعية بالحراك السياسي الدائر في البلد. وقد عبر عن ذلك بوضوح في الكلمة التي ألقاها في ندوة «إصلاح البيت العربي»، ضمن فعاليات مهرجان الجنادرية (2003/12/20)، وتحدث فيها عن «الأهمية الحاسمة التي ينبغي أن نوليها لموضوع تطوير المشاركة السياسية في العالم العربي، فهو السبيل الأمثل نحو البدء بتصحيح هذا الخلل العميق في حياتنا السياسية ...... إن غياب المشاركة السياسية الفاعلة هو المفضي إلى توالي الأزمات..... وهو المتسبب في فقدان القدرة على مواجهة التحديات». وقال في هذه الإطلالة أيضا إن «تطوير المشاركة السياسية لا بد أن يندرج في إطار إصلاح شامل وحقيقي، وإلا لفقد معناه وافضى إلى تغيير شكلي لا يعتد به..... يتطلب تطوير المشاركة السياسية أن نملك الجرأة اللازمة لممارسة النقد الذاتي وإعادة النظر في ثقافتنا السياسية السائدة». وقال أيضا «إن الاستناد القديم إلى مجموعات صغرى تتراوح بين القبيلة والعائلة والطائفة لتدبير شؤون الحياة لم يعد يصلح لمتطلبات العصر الحديث ومستجداته. ولا بد أن يقترن الإصلاح الداخلي بإصلاح الوضع العربي برمته، بل وإصلاح نظرتنا نحو الآخر».

هذه المقتطفات (والنص الكامل أكثر وضوحا ونضجا بالطبع) صدرت عن «بدوي يركب على جمل»، ولكن هذا البدوي يتطلع إلى مشاركة سياسية يتنكر لها من يدعي الانتساب إلى حمورابي. وضمن هذا الإطار الواسع من الفهم، لا بد أن نتفحص تصريحات سعود الفيصل حول العراق، فللرجل رؤيته الاستراتيجية المبكرة، وتعامله مع العراق ليس مفصولا عن تلك الرؤية.